الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلة التاريخية المصرية

قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب

أسطورة أم واقع

بقلم الدكتور: إسحاق عبيد

المجلد ١٧، ١٩٧٠.

قصة عثور القديسة هيلانة
على خشبة الصليب
أسطورة أم واقع

بقلم الدكتور اسحق عبيد
مدرس العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة عين شمس

تقديم للنص :

هذا جزء من المخطوطة ١٦٤٩ (بدار الكتب المصرية) ، وهو من كتاب لا نعلم اسم صاحبه ولا حتى عنوانه ؛ لأن المخطوطة مبتورة الأول والآخر . والجزء المتبقى يبدأ برحلة القديسة هيلانة — والدة الامبراطور قنسطنطين العظيم (٣٢٤ — ٣٣٧) — إلى الأرض المقدسة بحثاً عن صليب الصلبوت ، وينتهى باعتلاء الإمبراطور يوستنيانوس (٥٢٧ — ٥٦٥) العرش . فهو فى الواقع سجل لتاريخ ملوك القسطنطينية .

ومؤلف هذا الكتاب — على ما يبدو — ليس عربياً ، لأن لغته دارجة للغاية ولأنه يستخدم ألفاظاً يونانية كثيرة من قبيل « فوطاغون » ، « ثاولوغوس » ، « ابروطوريون » . . . الخ . كما أن أسماء القديسين الواردة بالنص مكتوبة فى صيغتها اليونانية ؛ ولذا فإنا نميل إلى الاعتقاد بأن الكاتب يونانى ومن جماعة الإكليروس . وهو بالتأكيد أرثوذكسى من أتباع مجمع خلقدونية (٤٥١ م) ؛ لأنه يتحدث عن الأرمن واليعاقبة و « الحبش » والنساطرة على أنهم هراطقة .

والجزء الذى نعالجه هنا خاص برحلة القديسة هيلانة إلى بيت المقدس بحثاً عن خشبة الصليب التى صلب عليها المسيح . وهذا يجرنا إلى الحديث عن القديسة هيلانة فى شىء من الموضوعية التاريخية ؛ لأن قصة اكتشافها للصليب قد أثارت جدلا كبيراً بين الدارسين ، ولم ينتهوا فيه إلى رأى قاطع .

والإمبراطورة هيلين ، أو هيلانة ، ولدت حوالى سنة ٢٢٥ م وتوفيت حوالى سنة ٣٣٠ ، ويحتفل بيوم عيدها فى الثامن عشر من أغسطس كل عام . وقد ظل

المؤرخون فترة طويلة يعتقدون أنها بريطانية الأصل ، ولكن ليس هناك من الدلائل مايؤيد هذا الرأى. والنظرية السائدة الآن أنها ولدت فى مدينة دريبانوم (هيلينوبولس) فى آسيا الصغرى ، من أسرة رقيقة الحال. وقد تعرف عليها الامبراطور قنسطانطيوس فتزوجها ، ثم أنجبت له قنسطنطين سنة ٢٧٤ ، على أنه فى سنة ٢٩٢ طلق قنسطانطيوس هيلانة لأسباب سياسية .

ولا نعلم بالضبط متى اعتنقت هيلانة الديانة المسيحية ، ولكنا نعرف أنه بعد أن أعلن ولدها قنسطنطين وزميله ليكين قرار التسامح مع المسيحية — فيما عرف خطأً باسم « مرسوم ميلان » — فى سنة ٣١٢ — راحت الإمبراطورة الأم هيلانة تولى كل اهتمامها لترقية شأن المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية . ولما كنا نعلم أن قنسطنطين العظيم كان يكن لأمه كل التبجيل والتقدير ، فإنه يمكن القول إن نشاطها « المسيحى » كان يتم برضاء من جانب الإمبراطور الابن .

وفى أخريات سنى عمرها قامت القديسة هيلانة بزيارة طويلة لبيت المقدس ، حيث وزعت العطايا والهبات بسخاء زائد على الفقراء . كذلك ساهمت بذهبها ورأيها فى إنشاء الكثير من الكنائس هناك .

ويرتبط اسم هيلانة بوجه خاص باكتشاف صليب الصلبوت الذى وجدته — حسب قول الروايات — مطموراً بجوار تل من تلال الجلجثة . ولكن المؤرخين المعاصرين لا يذكرون شيئاً ألبتة عن دور هيلانة فى مسألة العثور على الصليب المقدس ، وإن كان من المؤكد أنه قد عثر عليه فى القرن الرابع . ويرجح أن الإمبراطورة القديسة كانت قد توفيت قبل اكتشاف خشبة الصليب . ورغم هذا فإنه ابتداء من نهاية القرن الرابع ارتبط اسم هيلانة بصليب الصلبوت .

أما التساؤل عما إذا كانت هذه الخشبة التى عثر عليها ، هى فى الحقيقة الصليب الحقيقى أم لا ؛ فهذا موضوع آخر لا أزعم لنفسى القدرة على الخوض فيه ، فهو من الأمور المستحيلة فى الدراسة التاريخية اليوم .

هذا وقد زودنا الحواشى بمادة تاريخية لقائمة القديسين الذين ورد ذكرهم فى هذا النص حتى تكون الفائدة كاملة .

النص :

« وللحين أتوا بخوف ووقفوا أمامها[1] ، فابتدت وقالت لهم : أرونى المكان الذى فيه مخبو[2] صليب المسيح ، فنكروا وقالوا لا نعلم أصلا ولا سمعنا منذ قط عن هذا . فقالت لهم أيضاً قولوا لى الحق كيلا أميتكم ، فنكروا أيضاً . حينئذ قالت للأجناد : أشعلوا النيران وأحرقوهم . فلما سمعوا ذلك ارتعدوا ، وللحين أجابوا وقالوا للملكة : ياسيدتنا : إن أردتى أن تجدى الصليب وغيره مماتوتريه[3] فخذى يهودا هذا واستفحصيه ، وهو يعرف جميع ماهو رأيك ومقاصدك ، لأنه نبى وابن رجل صديق ، يعرف الناموس فى الغاية أفضل من الكل . حينئذ أمرت بتخليتهم[4] ومسكت يهودا فقط . وقالت له : الحياة والموت موجودان ، فاختار لك من الاثنين ماتريد . فأجاب وقال لها : ماذا تريدى ياسيدتى أن أصنع ، فقالت له الملكة : إن أردت أن تعيش هاهنا وفى العالم السماوى ، قل لى أين هو مختفى صليب المسيح . فأجاب يهودا : ليس لنا علم إذ كنا بعد شباب ، وما وصلنا كذلك الأوان ، ولسنا نعرف ولا سمعنا من أجله شىء ، فاعملى الذى بترسميه[5] . فأمرت أن يضعوه فى بير ناشف عميق ، فمكث هناك باستيثاق حرين سبعة أيام بغير خبز ولاماء ، حتى صار كمايت[6] . فزعق صوتاً عظيم ، وقال : أخرجونى من هاهنا ، وأنا أريكم مكان صليب المسيح . وهكذا أخرجوه وأتوا به أمام منبر الملكة . فمضوا معاً إلى المكان الذى صلب فيه الرب . ولم يعرف جيداً أين الصليب مختفى . حينئذ وقع أمام الملكة مصلياً قايلا : أيها الرب السيد إلاهنا ، يامن خلقت الإنسان على صورتك ومثالك ، يامن تسود على السموات والأرض والملايكة والبشر ، يامن أرسلت ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح الذى لأجل خلاصنا اقتبل الصلب ، وقام لثلاثة أيام[7] ، منك نطلب ونحوك نتضرع ، نحن عبيدك لكيما تظهر لنا الكنز المخفى الذى هو الصليب الكريم الصانع الحياة ، حتى إذا استوعبنا منه رايحة ذكية ، نمتلى نعمة روحانية ، وأنا الخاطى أومن به وأحوذ غفران ومسامحه . ولما تم صلاته ، للحين ياله من عجب تزلزل المكان ،

(١) أمام الإمبراطورة هيلانة . (٢) مخبأ . (٣) تبغيه .
(٤) إطلاق سراحهم . (٥) فاعملى ما تبغين . (٦) حتى أشرف على الموت .
(٧) وقام بعد الدفن بثلاثة أيام .

وخرج دخان ورائحته بخور طيب عطره من المكان الذى كان فيه الصليب مختفياً . فتعجبت الملكة وساير الناس ، وحينئذ شكر يهودا الله وقال : بالحقيقة يامسيحى أنت هو ابن الله الحى ، أنت هو مخلص العالم ، وأطلب منك أن تحصينى مع أول شهداءك استفانوس[1] لأنى أنا من جنسه وقبيلته . ثم أخذ الفاسات[2] مع الأراخنه الكثيرين ، وحفروا عشرين قامة ، فوجدوا الثلاث صلبان : صليب المسيح وصليب اللصان اللذان صلبا معه[3] . فلما نظرت الملكة ذلك فرحت كثيراً . وحينئذ قالت ليهودا : من أين تعرف أيهما هو صليب المسيح ، وبعد هنيهة اجتازوا بميت لكى يدفنوه ، وأن يهودا للحين أتى به إلى أمام الملكة ووضع على المايت الصليب الأول فلم تصير آية[4] ، ووضع الثانى فكان كذلك ، لأنهما كاناصليبان اللصان . فلما وضعوا الصليب الثالث الذى هو صليب المسيح ، فللحين قام الميت واعتلن مجد الله وقوة الصليب .

فلما رأت زمرة اليهود هذا العجب آمنوا بربنا يسوع المسيح . وأما المغبوطة

---

(١) استفانوس : هو أول الشهداء ؛ استشهد فى أورشليم حوالى سنة ٣٥ م ، ويحتفل بعيده فى السادس والعشرين من ديسمبر . وكل ما يعرف عن أول الشهداء مسجل فى الإصحاحين السادس والسابع من « أعمال الرسل » . وقد كان استفانوس « رجلا يفيض إيماناً وقوة » ، وهو بلا شك يهودى ولكنه كان يتكلم اليونانية ، لأنه كان على رأس الشمامسة السبع الذين اختارهم الرسل لرعاية شئون الأرامل الناطقات اليونانية فى أورشليم . وكان استفانوس مبشراً ممتازاً « أتى بكثير من الأعاجيب والمعجزات » ، ولذا فإن المجمع اليهودى أدانه وألصق به تهمة «التجديف» . وأمام هذا المجمع تحدث القديس فلعن حاخامات اليهود لمقاومتهم « الروح القدس » ، مذكراً إياهم أن أجدادهم أيضاً قد اضطهدوا الأنبياء ونكلوا بهم ، تماماً مثلما فعل رؤساء كهنة اليهود حينئذ مع المسيح بأن قتلوه . وبعد هذا صاح استفانوس وهو فى شبه حلم : « انظروا هو ذا ابن الإنسان يدخل أبواب النعيم ليقف عن يمين الله الآب » . وعندما اقتيد استفانوس إلى خارج مدينة أورشليم حيث رمته اليهود بالحجارة ، وقد صرخ وهو يسقط شهيداً : « سيدى يسوع ، تقبل روح عبدك الأمين ... يا إلهى اغفر لهم » . وكان يقف عند هذا المشهد شاول الطرسوسى العدو اللدود للمسيحيين ، الذين لقوا على يديه صنوفاً من التنكيل . وقد صار شاول هذا فيما بعد أستاذ المسيحية الأول فهو القديس بولس الرسول .

(٢) الفؤوس .

(٣) صلب هذان اللصان العاتيان مع المسيح : واحد عن يمينه وآخر عن يساره .

(٤) أى معجزة .

هيلانة فرحت كثيراً ، وابتهجت ومجدت الله الذى أهلها[1] لهذه النعمة ، وتعجبت من أمانة يهودا ، كيف أظهر مثل هذا السمى بعد الجهد ، وأخذت الذى تاقت اليه وطلبته : أعنى الصليب المكرم ، وعملت له صندوق ذهب بحجار ثمينة ولولو نفيس ، ووضعته فيه بوقار وخوف كثير فملته . حينئذ استدعت يهودا وقالت له أن يبحث عن المسامير التى سمر بها المسيح . وطلب يهوداً مع بقية النصارى ، فلمع المكان الذى كانوا فيه ، وحفروا فوجدوهم يلمعون كالشمس فتناولتهم الملكة ، ووضعتهم مع الصليب المكرم .

وأما يهودا فبعد اعتماده[2] ، عملته الملكة رئيس كهنة لأورشليم . وبعد ذلك بنت كنايس عظيمة فايقة بما أنها مومنة وورعة وحسنة العبادة فى مكان قبر الرب ، ومكان الجلجلة[3] وبيت لحم ، وجبل الزيتون ، وطور ثابور ، والأماكن الأخرى ، الذى تردد المسيح بها ، وعلم وتألم بالجسد ، وأيضاً هياكل كثيرة التى نكتبها باختصار :

فالأول قبر الرب الصانع الحياة ، الذى هو هيكل عظيم ومدور البناء ، وهو فى وسط أورشليم المدينة المقدسة ، وله قبتين وقناطر حسنة ملاصقات الهيكل المقدس . ومن بعد يستبين رسم صورة الثالوث المقدس . وأما القبة الواحدة التى هى فوق القبر المقدس فإنها مغطاة ، ومن هناك ينزل النور البهى نور القيامة المقدس فى يوم السبت العظيم . وأما القبة الأخرى فمن خارج ملبسة برصاص ، ومن داخل مربطه بالأخشاب إلى حد زنار الحايط . ومن نازل مزوقة ببلور مذهب صور جميع الأنبياء والقديسين قسطنطين وأمه هيلانة . ومن تحت رخام أحمر فى الحايط منقوش ودار الكايتخومانا القبر المقدس ثمانية عواميد رخام منقوش ، وثمانية ركايز طوال : فالعواميد فى الرواست وتحت الصخر ستة عشر عامود غلاظ ، وركايز طوال ثمانية . وفى وسط القبة التى بصخر القيامة قبة لطيفة صخرية ، وفى

---

(١) ألهمها .

(٢) أى بعد قبوله المعمودية واعتناقه المسيحية .

(٣) الجلجثة : المكان الذى صلب فيه المسيح .

وسطها قبر الرب المقدس . وفى دخولك من باب القبر المقدس هناك الحجر الذى دحرجه الملاك فى فم القبر ، وهو مثل المايدة المقدسة ، والقبر المقدس ، فهو رخام لطيف ، وفوقه قناديل غير مطفاة ثمانية وثلاثين . وهناك مصور دفن المسيح وقيامته وصعوده ، ودايره جميعه مرخم . ومن هناك بقليل كنحو خطوتين الحجر الذى جلس الملاك فوقه وقال للنسوة : يسوع تطلبن ، قد قام ، ليس هو ها هنا . وفوق الحجر معلق أيضاً أربع قناديل غير مطفية ، وفوق القبر المقدس قبة صغيرة مغطاة مرصصة برصاص ، يحملها إثنى عشر عا مود رخام ، مذهبات الروس ، مزوقات كلهم بفسيفسه . ومن هناك ينزل النور المقدس يوم السبت العظيم . وداير القبر المقدس ، من ناحيته البرانية ، هناك كنائس الأراطقة[1] : الأرمن[2] واليعاقبة[3] والحبش[4] والنساطره[5] ، والأرثوذكسيين لهم الكنيسة الكاثوليكية . وفيما بين القبتين قنطرة كبيرة مصورة ببلور : أيقونات الصعود والبشاره ، ومعلق هناك قنديل ساهر ، وتحت القبة فى الصخر نصف الدنيا ، وهناك قناديل كثيرة . وهناك هيكل الكنيسة مصور ومكتوب دايره : معنا هو الله فاعلموا أيها الأمم وانهزموا لأن الله معنا . ودايره إثنى عشر عامود وأربعة قناديل ، وهناك كراسى البطاركة يزهرون . وهناك قناديل ثلاثين ، وخلف الهيكل المقدس هناك حبس المسيح ، ومنه خمسة عشر قدم ، مكان القيود التى وضعوها فى رجلى المسيح ، مرخم . وفيه مائدة حيث يقدسون ، وهناك أربعة قناديل غير مطفئة ، وأمام المكان الذى عملوا

---

(١) الهراطقة .

(٢) الأرمن : اختلف الأرمن مع كنيسة بيزنطة منذ أيام مجمع خلقدونية (٤٥١ م) ، وهم أميل إلى الاعتقاد بالطبيعة الواحدة للمسيح ، فهم فى عداد المنافزة من وجهة النظر الخلقدونية (الأرثوذكسية) .

(٣) اليعاقبة : هم منافزة (أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح) سوريا . وقد اتخذوا اسمهم من زعيمهم يعقوب برادايوس من أنرها الذى تمكن ، بمعونة الامبراطورة تيودورة ، من تقوية نفوذ فرقته فى الشام .

(٤) الحبش : الأحباش أيضاً يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح ، مثلهم فى هذا مثل أقباط مصر ، الذين حرموا من المشاركة فى أعمال مجمع خلقدونية ثم أدينوا بالهرطقة .

(٥) النساطرة : هم أتباع نسطوريوس الذى قال إن العذراء مريم أم المسيح فى طبيعته البشرية لا الإلهية ، وقد أدينت تعاليمه فى مجمع افيسوس الاول سنة ٤٣١ م .

فيه مسامير الصليب ، وقدامه بقليل فى كنيسة الإفرانج ، فى الأرضية ، رخامة مدورة ومثقوبة فى وسطها ، فيضعون الناس آذانهم فى الثقب فيسمعون صوت دوى وصدا كحس نقر النحاس ، وخلف الهيكل المقدس المكان الذى اقتسموا فيه الجند ثياب الرب وعن يسار القبر المقدس من ناحية الهيكل المقدس بتطلع[1] فى خمسة عشر درجة ، وبتدخل إلى مكان الجلجلة حيث نصب صليب المسيح واللصين . وفى هذا المكان قال اللص : اذكرنى يارب ، ومصور صلبوت المسيح . وهناك قناديل ساهرة خمسة عشر . والجلجلة مبنية قبو مصلب ومصور ببلور صور الأنبياء وابراهيم واسحق ويعقوب وأرضية الصحن كله منقوش فسيفسه . ومن خلف الجلجلة بتنزل ثلاثين درجة إلى تحت هناك هيكل القديسة هيلانة بأربع عواميد رخام . والعامودين ينضحون ماء بارداً بالصيف . وهناك كرسى القديس يعقوب أخو الرب ومنه بتنزل اثنى عشر درجة ، فهناك المغارة التى كان بها يختفى صليب المسيح ، وفيها مايدة يقدسوا عليها فوطاغين . وهناك أربع قناديل ، وأمام القبر المقدس الموضع الذى فيه كفنا يوسف ونيقوديس جسد المسيح ولفوه بسبانى نقية ، وهى ملبسة برخام أسود سماقى ، ومعلق هناك ثمانية قناديل لا تنطفىء . وهناك أربعة عواميد رخام وقبو مصلب ، فالقنطرة التى للكنيسة ثلاثين ، ولها ثلاثة أبواب فالواحد غربى الذى منه دخلت البارة مريم المصرية ومنعت من الدخول بواسطة ملاك . وفوق مصورة السيدة التى صارت كفيلة لهذه البارة . وأما البابين الآخرين قبليات ، فيهم ستة عواميد رخام وثلاثة سماقى وعتبة فوقانية لطيفة ، وفى قربهم قبة صخرية مصورة بفسيفسة ، وهو المكان الذى جلس فيه الملك للحكومة . وأيضاً صحن القبر المقدس منقوش برخام ، وهناك أربعة عواميد الذى وضعوا المايت فوقهم ، الذى أقامه صليب المسيح . وهناك ثلاث كنائس : قيامـــة المسيح والأربعين شاهد ، ويعقوب أخو الرب ، وحاملات الطيب . وهناك نظرت مريم المجدلية الرب يسوع المسيح من بعد القيامة وتوهمت أنه البستانى وقالت له : يارب أين وضع جسد يسوع . فأجابها الرب : مريم لا تقربينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ومن هناك وفوق قليل دار البطركية ، وفوقها بقليل دير الثلاثة الهداية ، يسكنوه راهبات ؛ لأن من هناك

(١) يقصد « إذا ما طلعت » .

وقفت أم الإله وعاينت ابنها مصلوباً ، وانتحبت نادبة . ومن القبر المقدس كنحو غلوة فى ذاك الجانب، يوجد اثنى عشرة ديراً وغربى القبر المقدس :الأول للسابق، الثانى للمعظم جاورجيوس(١) الثالث للجليل ديمتريوس(٢) ، الرابع للقديس نيقولاوس(٣)

---

(١) جاورجيوس : يظن أن القديس جاورجيوس (سان جورج) قد استشهد فى أخريات القرن الثالث أو بداية الرابع . ويحتفل بيوم عيده فى الثالث والعشرين من أبريل . ومار جرجس أو سان جورج هو قديس انجلترا وولى شبان الكشافة وعلى اسمه تقوم كنائس لا تحصى فى العالم ، ويهتم المشرق به وبعيده اهتماماً زائداً . على أنه ليست هنالك مادة تاريخية عن حياته ، وكان من نتيجة تخبط الأساطير التى تدور حول هذا الشهيد أن خلص البعض من الدارسين إلى أن مار جرجس ما هو إلا شخصية أسطورية . هذا ولقد بدأ تبجيل القديس فى صورة الجندى « العلوى » منذ وقت مبكر ، وكان مركز هذه الفكرة فى ديوسبولس وهى مدينة اللد الآن . وربما كان أن سان جورج قد استشهد هناك فى نهاية القرن الثالث أو بداية الرابع .

أما الأساطير التى تدور حوله فهى عديدة ، ولا يقبلها المؤرخون على إطلاقها . ولعل أشهر هذه الروايات ماورد فى كتاب « الأسطورة الذهبية » ، الذى ظهر فى العصور الوسطى المتأخرة ، حيث يبدو القديس « فارساً من كبادوكيا ، ثم منقذاً لفتاة من مدينة سيلين فى ليبيا من أنياب التنين.. الأمر الذى أدى إلى اعتناق الآلاف من أهالى هذا الإقليم للمسيحية » . وبعد عديد من المعجزات التى تمت على يديه ، سقط سان جورج ضحية لاضطهاد دقلديانوس الذى أمر بقطع رأسه فى نيقوميديا .

أما كيف أصبح سان جورج القديس الحامى لانجلترا فهو أمر محير ، والمعروف أن اسمه كان متداولا فى انجلترا وايرلندة قبل الغزو النورماندى لانجلترا (١٠٦٦) . ويرجح أن الصليبيين الانجليز العائدين من الأرض المقدسة قد ساعدوا على ازدياد شعبية هذا القديس بين بنى جلدتهم . وفى سنة ١٤١٥ أصبح يوم عيده احتفالا على رأس سائر الاحتفالات فى انجلترا .

(٢) ديمتريوس : لايعرف تاريخه بالضبط ، وإنما يحتفل بعيده فى الثامن من اكتوبر . ويظن أنه كان من بين شمامسة سرميوم (متروفتشا فى الصرب) . على أن مركز شهرته كان فى سالونكا . والقصة التى تدور حوله فحواها أنه قبض عليه بسبب تبشيره بالمسيحية فى سالونكا ، على عهد الإمبراطور ماكسميان ، ثم قتل . ثم اكتسبت قصته لمسات أسطورية فقيل عنه إنه كان بروقنصل (قنصلا سابقاً) وأنه من مشاهير المحاربين من طراز سان جورج . ولقد ازدادت شعبيته تدريجاً وانتقلت من سالونكا إلى سائر أقطار المشرق .

(٣) نيقولاوس : عاش فى القرن الرابع ، ويحتفل بعيده فى السادس من ديسمبر . من =

الخامس للقديسة تقلا(١) ، السادس للقديسة حنة(٢) ، السابع للقديس ايثيميوس(٣)

= المعروف أنه كانت توجد كنيسة فى القسطنطينية باسم هذا الأسقف القديس فى القرن السادس . وبداية من القرن التاسع — فى المشرق — والحادى عشر فى غرب أوروبا صار نيقولاوس أكثر القديسين شعبية ؛ فغدا القديس الحامى لبلدان وولايات وابروشيات ومدن لا تحصى ولا تعد ، كما اتخذه البحارة والصبية والتجار ولياً لهم يتبركون بذكر اسمه وترتيل الأناشيد له ، كما تسابق الفنانون فى تصويره بالرسم والنحت . ورغم كل الأساطير التى تدور حول هـذا القديس ؛ فإنه من الناحية التاريخية لا نكاد نعرف عنه سوى توليه منصب الأسقفية فى مدينة ميرا فى جنوب غربى آسيا الصغرى فى القرن الرابع .

ولقد شاعت أسطورته فى القرن التاسع . ولعل أهم ما ورد فيها أن القديس انتشل ثلاث فتيات من وحل الدعارة بأن ألقى إلى كل منهن من خلال نافذتها حقيبـة ملأى بالذهب . ويحكى عنه أيضاً أنه أحيا من الموت ثلاثة صبية كانوا قد اغتيلوا عدواناً . كما انه قد أنقـذ — وفقاً للأسطورة ذاتها — بعض البحارة من موت محقق على مقربة من الشاطىء الآسيوى فى منطقة ليقيا . على أن التاريخ لا يؤيد هذا ولا يعلم شيئاً عن قصـة استشهاده فى سبيل المسيحية قبيل اعتلاء قنسطنطين العرش . كذلك قيل إنه كان من بين الحضور فى مجمع نيقيـة المسكونى (٣٢٥م) ، ولـكن هذا غير ثابت أيضاً .

والقديس نيقولاووس بوصفه ولياً للصبية هو الأصل فى قصة « بابا نويل » ومصدر الإلهام لشخصية « سانتا كلوز » . وفى سـنة ١٠٨٧ سرق بعض التجار الإيطاليين رفات القديس من ميرا ونقلوها إلى مدينة بارى فى أبوليا ، ولا زالت باقية هناك . هذا والرمز المميز للقديس نيقولاس عبارة عن ثلاث كرات .

(١) تقلا : وهى شهيدة عذراء من القرن الأول ، ويحتفل بعيدها فى الثالث والعشرين من سبتمبر ، وتستمد أسطورتها من «أعمال القديس بولس الرسول » التى كتبت حوالى سنة ١٧٠ م . ومنها نعلم أن تقلا كانت من مواطنى قونية ، وأنها اعتنقت المسيحية على يد القديس بولس . وبعدها تخلت عن خطيبها ووهبت بتوليتها لله ، مما عرضهـا لاضطهاد شديد . ولـكن محاولات قتلها بالنار وبالوحوش المفترسة قد فشلت . وبعدها اعتزلت القديسة إلى كهف فى مريا ملك على مقربة من سلوقية ، حيث عاشت على هذا المنوال سنين طوالا . وعندما بلغت التسعين من العمر تعرضت تقلا مرة أخرى للاضطهاد هـذه المرة من جانب رجال الطب الذين كانوا يحسدونها على مقدرتها على الشفاء الروحى لسائر الأسقام . على أن صخرة كهفهـا قد أنقذتها من مكرهم ؛ إذ انفتحت الصخرة ليحتويها الـكهف فى عمقه شهيدة الإيمان والمعجزة .

(٢) القديسة حنة انظر حاشية رقم(١) ص ١٦ .

(٣) ايثيميوس : ولد هذا القديس فى ميليتين سنة ٣٧٧ وتوفى فى فلسطين سنة ٤٧٣ . ويحتفل بيوم عيده فى العشرين من يناير . ولقد هاجر هذا القديس من وطنه =

الثامن للقديسة كاترينا(١) ، التاسع لرئيس الطغمات، العاشر أيضاً للقديس باسيليوس(٢)

= في أرمينيا – وهو في الثلاثين من عمره — إلى فلسطين حيث توحد راهبا في كهف ما بين أورشليم وجريكو . ويقال إن المسلمين كانوا يحترمون هذا الراهب المتوحد خاصة بعد أن من الله بالشفاء على ابن لأحد السادة المسلمين بعد صلوات ايثيميوس من أجل شفائه . كذلك نعلم أن الامبراطورة يودوكيا أرملة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى كانت تستشير هذا القديس فى مشكلاتها الروحية .

(١) كاترينا : لا يعلم لها تاريخ ، ويحتفل بعيدها فى الخامس والعشرين من نوفمبر . والأسطورة التى تدور حول هذه القديسة تمثلها من أصل عريق، على درجة وافرة من الثقافة ، وذات جمال خارق . هذه الفتاة السكندرية وقفت فى وجه الامبراطور ماكسنتيوس محتجة ضد العبادات الوثنية . ولما أتوا إليها بخمسين من فلاسفة الوثنيــة لمحاجتها انتصرت عليهم جميعاً بحسن منطقها وإيمانها . وكانت النتيجة أن أمر الامبراطور بإعدام هؤلاء الفلاسفة الخمسين . وقد افتتن ماكسنتيوس بكاترينا ورغب فى الزواج منها إن هى أنكرت مسيحيتها ، ولـكنها رفضت مما جعله يتفنن فى أساليب تعذيبها . وتقول الأسطورة أنها وهى حبيسة «زنزانتها» كانت تقتات على الطعام الذى كانت تحمله إليها حمامة وادعة كل يوم ، كما أن المسيح قد ظهر لها فى رؤية . وقد حاولت السلطات الوثنية تعذيبها على عجلة خشبية ذات أســنان حادة ، ولـكن العجلة تمزقت إرباً فقتلت شظاياها عديداً من المتفرجين ، فى حين أن القديسة لم تمس بسوء . وكان من نتائج هذه المعجزة أن اعتنق مائتان من جند الامبراطور الديانة المسيحية ؛ فأمر الامبراطور بقطع رؤوسهم جميعاً على التو . وفى نهاية الأمر قطع رأس كاترينا ، وهى تصلى من أجل البشر . على أن شرايينها فاضت لبناً بدلا من الدم . وقد حملت الملائـكة جسدها الطاهر إلى جبل سيناء . كل هذا حسب روايات الأساطير .

على أننا لا نملك سجلات تعزز فى قليل أو كثير شيئاً من هذا كله . وأغلب الظن أن تلك القصة من نسج خيال كاتب يونانى مبكر . هذا والرمز المصاحب لـكاترينا هو « عجلتها» الأسطورية .

(٢) باسيليوس : ولد فى قيصيرية حوالى سنة ٣٣٠ ومات هناك فى أول يناير ٣٧٩ ، ويحتفل بعيده فى ١٤ يونيو . ولد باسيليوس لعائلة مسيحية مرموقة الشان : فجدته ماكرينا ، ووالده باسيل الأكبر ووالدته إميليا ، وشقيقته الـكبرى ماكرينا ، وشقيقاه الصغيران جريجورى من نيسا وبطرس من سباستيا — كل هؤلاء أعلام قديسون. وقد تلقى القديس تعليمه فى مدارس قيصرية والقسطنطينية وأثينا ، حيث صادق القديس جريجورى من نازيا— — نزوس . وفى سنة ٣٥٧ قام برحلة زار خلالها البيوتات الديرانية فى المشرق . ثم استقر بعدها راهباً فى آنيزى على نهر إيريس فى بنطس . ويعتبر القديس باسيل هذا الأب الحقيقى للحركة الديرية فى الشرق لأنه هو الذى وضع لجماعات الرهبان دساتيرهم وقوانينهم . =

الحادى عشر يوحنا الثاولوغس[1] ، الثانى عشر أيضاً للقديس جاورجيوس ، فهذه

= وفى سنة ٣٧٠ اختير القديس أسقفاً لقيصرية . وهنــاك وقف ضد الإمبراطور ڤالنز الأريوسى وأتباعه ؛ مناصرة للعقيدة الأرثذكسية . ولما استدعاه حاكم الولاية للتحقيق معه صاح فى وجهه «لعلك حتى اليوم لم تصادف أسقفا حقيقياً يواجهك فى شجاعة» ؛ وكانت تلك الشجاعة سمة مميزة للقديس باسيليوس ، جعلت الإمبراطور ذاته يخشى بأسه وشعبيته .

ولعل أشهر ما قام به القديس أنه وهب ضيعة من ضياع قيصرية للخدمة العامة ، فأسس فيها كنيسة ومستشفى وداراً لضيافة الغرباء وبيوتاً لإيواء المعدمين والفقراء . وللقديس عديد من الرسائل والمواعظ الشهيرة ، التى تكشف عن شخصيته وحبه للفقراء وكراهيته للموسرين . وتتميز شخصيته أيضاً بعناد شديد . ومن بين ما خلفه رسالة لأبناء إخوته يحثهم فيها على دراسة الآداب والفلسفة الـكلاسيكية (الوثنية) لتمهد لهم الفهم الواعى لقواعد المسيحية . هذا ويعد باسيليوس واحداً من أشهر أربعة لاهوتيين فى الـكنيسة البيزنطية .

(١) يوحنا اللاهوتى : (الثايولوغى) وهو واحد من أشهر تلاميذ المسيح الأثنى عشر . توفى فى أفيسوس (؟) حوالى سنة ١٠٠ م ، ويحتفل بعيده فى السابع والعشرين من ديسمبر . كان يوحنا جليلياً ومن جماعة الصيادين ، وقد أشار المسيح عليه وأخيه القديس يعقوب الأكبر ، وهما يصلحان شباك الصيد ، أن يتركاها ويتبعاه ففعلا ذلك . وكان هذان الأخوان يتميزان بحدة الطبع فأطلق عليهما المسيح كنية « ابنى الرعد » . على أن المسيح قد اختارهما وبطرس الرسول لمشاهدة لحظة « التجلى » على الجبل ولمصاحبته وقت الآلام فى الجسمانية . ولقد جرى العرف على أن يوحنــا هذا هو « التلميذ المحبب لقلب المسيح الذى اتـكأ على صدر سيده ليلة العشاء الأخير » . كما وأن المسيح وكل إليه — وهو على خشبة الصليب — رعاية السيدة مريم . وكان يوحنا أول من زار القبر الذى دفن فيه المسيح بعد الصلب فى اليوم الثالث فوجده خالياً فاعترف على التو بقيامة المسيح . كذلك تعرف يوحنا على السيد المسيح بعد القيامة حين ظهر له عند بحيرة طبرية . وفى « أعمال الرسل » نجد يوحنا ملازماً لبطرس الرسول فى إتيان المعجزات وشفاء المرضى ، فى تحد صارخ لرؤساء الـكهنة اليهود . كذلك كان يوحنا رفيقاً لبطرس فى سجنه ، ومصاحباً له فى رحلتهما التبشيرية إلى السامرة . ويطلق القديس بولس على يوحنا هذا وبطرس ويعقوب « عمد كنيسة أورشليم » .

هذا وقد نفى يوحنا ـ كما يعترف هو نفسه فى سفر الرؤيا إلى جزيرة بطمس « من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح » . ويقال إنه قد أمضى آخر سنى حياته فى أفيسوس وإنه توفى هناك . ويقول القديس جيروم أنه عندما بلغ يوحنا سن الشيخوخة ووهنت قوته عن القيام بالتبشير كان يكتفى بقوله للشعب « أحبوا بعضـكم بعضاً ـ هذه هى وصاية السيد الرب ، فلئن اتبعتموها ففيها كل الـكفاية » .

أما القصة التى تدور حول زيارة قام بها يوحنا إلى روما وحول إلقائه فى الزيت المغلى ونجاته =

الديوره الموجودة إلى اليوم فى أورشليم ، وهى بيد الأرتودكسيين . لكن فى زمان الروم كانت الديوره والكنائس ثلثمائة خمسة وستين ، الذى أخذوا الأمم منها أكثرها . وشرقى القبر المقدس ، داخل أورشليم أربع غلوات ، هناك قدس القديسين والهيكل الذى فيه علم المسيح ، الذى فيه ذبح زخريا أبو يوحنا السابق . وهناك سمعان ، قابل الإلهة ، اقتبل المسيح . وهناك الآن يوجد حجر معلق بقدرة الله . وهذا الهيكل فهو عظيم ، مدور البنا بقبب مرصصات ، ومزخرفات داخله ، وخارجه بالفيسفسه ، وصخر داره كبيرة رحبة . وفى الناحية الشرقية منه هناك الأربعة أبواب التى بهم دخل المسيح بالسعف والأغصان ، وهم مغلقات إلى اليوم . وبقربه دار بيلاطس والأبروطوريون ، ونازل منهم البركة الغنيمة ذات الخمسة أروقة . ومن القبر المقدس كنحو ثلاث غلوات قرب هناك بيت يواكيم ، وحنة[1] أجداد المسيح وبقربه بير الحماه الذى ألقوا اليهود أرميا النبي فيه ، وهو من القبر المقدس كنحو أربع غلوات . فهذه الديورة كلها موجودة داخل أورشليم المقدسة .

وخارج أورشليم كنحو أربعة غلوات ، قبلى القبر المقدس ، هناك بيت داوود ، وهو عظيما كبيراً ، الذى فيه رتل المزامير ، وعلى مازعموا معلمين كنيستنا بأن هناك مزمع الاله أن يعمل المداينة(٢) فى مجيه الثانى. وقرب منه وادى البكا الذى منه مزمع أن يجرى نهر النار . ونازل منه بقليل دير القديس يعقوب أخو الرب ، وهو بيد

= من الموت ، فهى أسطورية تماماً . ولذا فإن الكنيسة الرومانية فى سنة ١٩٦٠ قد أبطلت تماماً الاحتفال بذكرى هذه القصة الخرافية فى السادس من مايو من كل عام . وقد جرى التقليد على نسب الإنجيل الرابع والرسائل الثلاث وسفر الرؤيا إلى يوحنا هذا .

ولكن بعض العلماء يشكون فى هذه النسبة . هذا والرمز المصاحب للقديس يوحنا هو النسر .

(١) هل هى القديسة حنة والدة العذراء مريم ؟ إذا كان الأمر كذلك فنحن نعلم أنه يحتفل بعيدها فى السادس والعشرين من يوليو . وهنالك كتابات مبكرة مشكوك فى صحتها تنسب عادة للقديس يعقوب الحوارى ، وفيها نبوءة عن مولد السيدة العذراء ، شبيهة بما ورد فى العهد القديم بقصة النبي صموئيل الذى من الله به على والدته حنة بعد أن كان الله قد أغلق رحمها فترة طويلة من الزمن .

(٢) أى الدينونة .

الأرمن . ومن هناك بيت يوحنا الثاولوغى ، وقريب منه الهيكل الذى بناه سليمان، وهو صهيون المقدسة ، وقريب منه بيت والدة الإله ، هناك صار العشاء السرى والغسل وحلول الروح القدس على الرسل القديسين ، وفيه كان رقود والدة الإله ، والتئام الرسل بالسحاب ، وجنزوها إلى الجسمانية ، وهناك قبور الأنبياء داوود وسليمان وسمعان الشيخ والقديس استفانوس ، ومساجد أخرى كثيرة . ومن صهيون المقدسة كنحو ميل من القبر المقدس مكان وطاه هناك بير القديس يعقوب وعين سلوان ، وحقل الفخار لمدفنة الغرباء ، بعدهم من القبر المقدس كنحو ميل . ومن هناك بأربعة غلوات قبر يعقوب أخو الرب الذى أرموه من فوق جناح الهيكل . وشرقى القبر المقدس خارج أورشليم هناك الجسمانية : هيكل مسقوف وباب لطيف، ولها ثمانية عواميد ، وبتنزل فى درج ثمانية وأربعين درجة تجد الهيكل أسفل . وفى وسط الهيكل قبة صخرية ، وفى داخلها قبر والدة الإله المقدس ، من رخام أبيض لطيف ، ومعلق هناك عشرة قناديل ، وهناك باب مغلوق . ومن هناك ، على مازعموا مزمع أن يخرج نهر النار . وبقرب تلك المغارة التى كان بها المسيح مختفى مع الرسل ، وفى ليلة الآلام أتى يهوذا بالجمع ومسكوا المسيح ، ومضوا به إلى رؤساء الكهنة . وهناك قطع بطرس أذن ملخص[١] . ومن هناك بقليل المكان الذى صلا فيه المسيح ، وبجانبه المكان الذى جلس فيه ونظر إلى أورشليم وقال : ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، هوذا أترك لكم بيتكم خراباً، ولا يترك حجر على حجر . ومن الجسمانية إلى القبر المقدس مقدار ميل واحد ، هناك جبل الزيتون حيث صعد المسيح إلى السموات . وفيه هيكل عظيم ، وداخله قبة على خمسة عشر عاموداً رخام ، وداخل القبة أقدام المسيح مطبوعات فى الصخر لما صعد ، ومعلق أربعة قناديل غير مطفاة ، ومن هناك بتنزل ثلاثين درجة هناك قبر القديسة بلاجيا[٢] بقرب الحائط بمقدار نصف قدم إنسان . ومن أراد أن يعبر هناك يحتاج

---

(١) ملخص : كان ملخص واحداً من أتباع رئيس كهنة اليهود ، الذى جاء مع الخائن يهوذا للقبض على المسيح . وعندها ثار بطرس الرسول وضرب التابع بسيفه فقطع أذنه ولكن المسيح وبخ تلميذه بطرس على هذه الفعلة ، وأمسك بالأذن المصلومة ووضعها مكانها معافاة تاماً .

(٢) بلاجيا : هى بلاجيا التائبة ، ولا نعرف لها تاريخاً محدداً ، وإنما يحتفل بعيدها فى =

أن يعترف بخطاياه وإلا يمسك مسكا غير منظور ولا يقدر أن يخرج . ومن هناك القلايه التى مسك فيها ، مشمول بها ثلاث قناديل غير مطفاة . ومن هناك نحو غلوتين قانا الجليل الذى عمل المسيح أول أعجوبه بعرس قانا وحول الماء خمراً . وكان فى الأول فيها كنيسة إلا أنها انهدمت ويقولون أن ملشيساداق[1] فى جبل الزيتون جلس . ومن أورشليم كنحو ميل شرقى جبل الزيتون هناك بيت عنيا وقبر العازر الصديق مرخم ، وقربه الحجر الذى جلس عليه المسيح فى الطريق . وداخل القبر مغارة فيها قبر مرتا ومريم أخوان(٢) العازر . ومن بيت عنيا كنحو ميلين من القبر المقدس هناك طريق ريحا والأردن. وفى الطريق عين الرسل ، وبقربها دير القديس افثيموس فى رأس الجبل . ومن أورشليم نحو خمسة عشر ميل فى طاه هناك دير السيدة ، وهناك عاين يشوع بن نون رئيس جنود قوات الرب . وفى ريحا المياه المالحة التى حولها اليشع إلى حلاوة . وهناك الجبل الذى صام فيه المسيح أربعين يوما . ومن أورشليم مقدار عشرين ميل من هناك بتنزل لدير القديس يوحنا السابق ونهر الأردن الذى فيه اعتمد المسيح وعلى حافة الأردن عاين يوحنا الروح القدس ، وجايز الأردن المغارة التى اختفى فيها إيلياس ، وهناك اختطف بالمركبة النارية . ومن الأردن إلى أورشليم أربعين ميل ، وجايز الأردن جبل عالى فيه صلى موسى لما أزمع أن يموت ، وهناك قبره . وفى البرية الجوانية هناك قبر القديسة مريم التى نسكت سبعة وأربعين سنة ، بعده من أورشليم عشرين يوماً ، ومن ناحية

= الثامن من أكتوبر ولهذه القديسة كنية هى «مارجاريتو» ومعناها ذات اللآلىء الفائقة الجمال .

وقد عاشت بلاجيا حياة خليعة ماجنة وهى فى شبابها المبكر فى مدينة انطاكية ، الأمر الذى لفت نظر نونس أسقف الرها ، فقال عنها فى إحدى المناسبات : « إن فى هذه الفتاة الماجنة درساً لنا نحن الأساقفة . فلو أننا أولينا اهتماما بالرعية وبأرواحنا مثل هذا الاهتمام الذى توليه الفتاة بلاجيا لجمالها وطريقة رقصها لوصلنا حد الكمال » . ولقد تأثرت الفتاة بلاجيا بمواعظ هذا الأسقف ورغبت فى التوبة الصادقة ، نخلعت عن ذاتها رداء الدنيا وقبلت المعمودية. وبعدها ذهبت إلى أورشليم وتنكرت فى زى الرجال واختارت لها كهفاً قصياً على جبل الزيتون عاشت فيه حياة الزهد والتوبة ، متخذة اسم بلاجيوس .

(١) ملكيصادق .

(٢) أختى .

الأردن اليمين هناك صدوم والبحيرة الميتة وموضع لوط . ويقولون إن فى ذاك المـكان تحته الجحيم ، بعده من أورشليم ثلاثين ميل . وهناك تجد دير القديس جراسيموس الذى كان يخدمه الأسد . وفوق صوب ناحية أورشليم فى جبل هناك سيق مارسابا(١) ، وقبره والدير واقف إلى اليوم مثل وادى . وأسفل منه الينبوع الذى أخرجه القديس بصلاته ، والـكنيسة بقبب ومصورة باللازورد . وهناك قلاية القديس يوحنا الدمشقى(٢) . وفى زمان القديس مارسابا كان فى الدير أربعة

---

(١) مار سابا : ولد القديس ساباس بجوار قيصرية على مقربة من كبادوكيـا فى سنة ٤٣٩ وتوفى فى مار سابا سنة ٥٣٢ . ويحتفل بعيده فى الخامس من ديسمبر . كان مارسابا رئيساً ديرانياً ذا نفوذ كبير فى تطوير الحياة الرهبانية فى المشرق . وقد تتلمذ على يد القديس إيوثيميوس العظيم . وبعد قضاء بضع سنوات راهباً متوحداً فى بقاع مختلفة من فلسطين ، قام فى سنة ٤٧٨ بتأسيس بيت ديرانى فى البقعة ما بين أورشليم والبحر الميت . وقد نمت هذه الجماعة وازدهرت ، وفى عام ٤٩٣ صار القديس مشرفاً على سائر البيوتات الجماعية الديرانية فى فلسطين . ولقد شارك ساباس فى نشاط الـكنيسة فأوفد مرتين من قبل بطريرك أورشليم فى مهمات كنسية إلى القسطنطينية . وقد قام كيرلس من سكيزوپولس بكتابة سيرة مارسابا . هذا ولا يزال دير مارسابا قائماً حتى الآن ، عامراً بالرهبان ، فهو بهذا من أقدم أديرة العالم .

(٢) يوحنا الدمشقى : لاهوتى مرموق وكاتب ترانيم كنسية ذائعة الصيت فى الشرق والغرب . ولد القديس فى دمشق سنة ٦٧٥ وتوفى على مقربة من أورشليم سنة ٧٤٩ . ويحتفل بيوم عيده فى السابع والعشرين من مارس .

ويعتبر يوحنا هذا آخر الآباء الأمجاد فى تاريخ الـكنيسة الشرقية .

وقد شغل والده منصباً هاماً فى بلاط الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق . ويقال إن والده استخدم راهباً يونانياً من كلابريا ، كان قد وقع أسيراً فى يد المسلمين ، لتعليم ابنه يوحنا . وقد خلف يوحنا ، أو منصور ، والده فى بلاط الخليفة الأموى لبضع سنين .

وعندما أقدم الإمبراطور ليو الثالث الألسورى على تحطيم الأيقونات فى الإمبراطورية البيزنطية ، تصدى له يوحنا الدمشقى ، تحت حماية الخليفة ، فهاجمه هجوماً عنيفاً . وقد اختار يوحنا الحياة الديرية وأصبح من أبناء مارسابا ، حيث عاش حتى وفاته . ولعل أشهر ما كتب القديس : « ينبوع المعرفة » التى تحوى مقالة هامة عن « الإيمان الأرثذكسى » . وقد كان لـكتاباته أثر بالغ فى الغرب فى العصور الوسطى . كذلك له ثلاث مواعظ رائعة عن صعود جسد السيدة العذراء بعد موتها . ولا زالت ترانيمه تنشد فى قداسات الـكنيسة اليونانية حتى اليوم .

عشر ألف راهب ، وهو من أورشليم مقدار اثنى عشر ميل . وبتطلع لتتوجه إلى أورشليم تجد دير القديس ثاودسيوس[1] رئيس الديارة ، بعده من أورشليم ثمانية أميال . وفوقه دير القديس مار الياس[2] فى طريق بيت لحم ، والهيكل بقبب . هناك أتى إليه الملاك وقال له : قم كل واشرب . لأن الطريق مسافتها منك بعيدة . وفى هذه الوادى جاب يوسف والدة الإله إلى الحفرة ليخلى سبيلها ، وأتى الملاك وقال له : يا يوسف ابن داوود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . ومن هناك بتمضى إلى بيت لحم ، وهو هيكل طويل فتجد فى الطريق قبر راحيل ، بقبته صخرة ، وقريب من هناك بيت لحم وهو هيكل طويل مسقوف بأخشاب ، ومن فوق برصاص ، ومصور بالفسيفسة ، وفيه واحد وأربعين عمود ، والأرضية جميعها رخام . وفى ناحية اليمين حوض المعمودية رخام أحمر ، وعن شمال الهيكل بتنزل بأربعة عشر درجة تجد مغارة التى ولد فيها المسيح ، المولد نحو المشرق ، والمذود نحو المغرب ، ومشعول فيهما عشرة قناديل غير مطفاة ، والمغارة جميعها ملبسة برخام ،

---

(١) ثاودوسيوس رئيس الديارة : ولد فى كبادوكيا حوالى سنة ٤٢٣ ، وتوفى على مقربة من بيت لحم سنة ٥٢٩ . ويحتفل بيوم عيده فى الحادى عشر من يناير . ترك هذا القديس عائلته وهو فى الثلاثين من عمره واستقر به الحال فى فلسطين ، حيث أسس جماعة رهبانية على مقربة من بيت لحم . وسرعان ما ازدهر شأن تلك الجماعة التى كانت تضم رهبانا من أجناس ولغات مختلفة . ولقد اشتهرت تلك المؤسسة الديرانية بخدماتها الجليلة لصالح المرضى والمسنين وضعاف العقول . وقد كان ثاودوسيوس صديقاً مقرباً للقديس مارسابا ، الذى عينه رئيساً للديارة فى فلسطين . وكان القديس معارضاً شديداً للمنـافزة (أصحاب الطبيعة الواحدة) ، الأمر الذى دفع الإمبراطور أناستاسيوس إلى خلعه من منصبه فى رئاسة الديارة ولـكنه سرعان ما أعيد إلى وظيفته . وقد توفى القديس عن مائة وخمسين عاماً .

(٢) مار الياس : هذا الشهيد ورفاقه الأربعة الآخرون ولدوا جميعا فى مصر واستشهدوا سنة ٣٠٩ فى قيسارية . ويحتفل بيوم عيدهم فى السادس عشر من فبراير . وقد سجل المؤرخ الـكنسى المرموق يوسبيوس أسقف قيسارية سيرة هؤلاء الشهداء المصريين : فهم خمسة من أبناء مصر دفعتهم المحبة ودوافع الشفقة إلى اصطحاب نفر من بنى جلدتهم إلى محاجر كيليـكيا ، بعد أن حكمت السلطات الإمبراطورية عليهم بالأشغال الشاقة فيها ، وكان ذلك بسبب تمسكهم بمبادىء العقيدة المسيحية . وأثناء عودة هؤلاء الخمسة من كيليـكيا استوقفتهم سلطات قيسارية عند بواباتها وسألتهم عن أسمائهم فذكروها كالآتى : الياس ، جريمى ، اشعيا ، صموئيل ودنيال . ولما سألتهم السلطات عن موطنهم الأصلى ، ردوا قائلين « أورشليم » ، يقصدون « أورشليم السماوية لا الأرضية » بطبيعة الحال . وفى الحال أمر حـاكم قيسارية بتعذيبهم ليحصل منهم على معلومات حقيقية ، ولـكنهم آثروا الصمت ونالوا إكليل الشهادة .

والأبواب هى من نحاس أصفر . ومن ناحية الهيكل اليمينى بتطلع فى خمسة عشر درجة وبتدخل إلى هيكل القديس جاورجيوس ، وخلف الهيكل نحو غلوتين مكان الرعاة . وفى الأول كان هناك كنيسة عظيمة ، ولكنها خربت ، ومن بيت لحم إلى أورشليم ستة أميال . ومن جهة المغرب هناك مكان ابراهيم عند البلوطة السوداء ، حيث كان يضيف الغرباء ، ونظر الثالوث المقدس ، وداخل بيته قبره ، وهى من أورشليم ثلاثين ميل . ومن هناك ثلاثين ميل قلاية القديس خاريطن[1] ، وبحيرة طبرية حيث كانوا الرسل يصطادون ، بعدها عن قلاية القديس ثلاثة أيام حيث قال لهم المسيح : تعالوا وراءى لأجعلكم تصيدون الناس . وفى تلك الناحية الجبل الذى مضت إليه والدة الإله وسلمت على اليشيع . وفوق منه الصخرة التى انشقت واقتبلت السابق مع أمه اليشع . وهناك كنيسة موضع الذى ولد السابق . وأنت جاى إلى أورشليم قبلها بميلين ، هناك كنيسة المصلبة وهو هيكل عظيم بقبة ومبنى دايره كمثل قلعه بباب حديد ، ومعلق أربعة قناديل . وفى مجيئك إلى أورشليم كنحو خمسة غلوات تجد دير القديس بابيلا ، وهناك فوق الحجر الذى جلست عليه والدة الإله . فدابر مدينة أورشليم خمسة أميال .

فهذه البنايات العجيبة كلها التى بيناها باختصار عملتها القديسة المغبوطة هيلانة ، لما كانت حاضرة فى أورشليم ، وخلفت وكلاء لعمارة البقية ، وأعطتهم ، المحبة لله ، ذهباً كثيراً ، وعملت ذلك تذكاراً لها ولابنها قسطنطين الملك المشابه الرسل(٢) .

---

(١) خاريطن : كل ما نعلمه عن هذا القديس أنه كان متوحداً فى الكهف فى برية تكوه جنوب شرقى بيت لحم ، وأن هذه البقعة بالذات قد كانت المكان المحبب لقلب القديس سرياقوص الذى توفى سنة ٥٥٧ .

(٢) اعتبر كتاب الكنيسة الباكروت قسطنطين العظيم مساويا لحواريى المسيح أو تلاميذه ؛ فهو على هذا الرسول الثالث عشر .